حقوق الأبناء على الآباء

.. قال الرسول ﷺ : يا بشير : ألك ولد سوى هذا ؟
قال : نعم . قال الرسول : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال :
لا !
قال الرسول : فلا تشهدنى إذاً . فإنى لا أشهد على جور
– ظلم ! !

إبراهيم مصبح

لقد أمر الإسلام بأن يكون العدل بين الأبناء حتى فى الاهتمام بهم ، فلا يفضل الرجل أحد أبنائه على الآخر ، حتى لا تغضب النفس الإنسانية الأمارة بالسوء .

ولقد ضرب الله مثلا فى القرآن الكريم ، فى قصة يوسف الصديق عليه السلام :

« إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا . ونحن عصبة ، إن أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا ، يخل لكم وجه أبيكم ، وتكونوا من بعده قوما صالحين » .

وبلغ الحقد بإخوة يوسف مبلغا ، لدرجة أنهم لما رأوا شدة حزن أبيهم على يوسف حتى أبيضت عيناه ، كانوا يعيبون عليه هذا الحزن العميق ، وكان قولهم ما جاء فى القرآن الكريم :

« قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا – مريضا – أو تكون من الهالكين » .

ولم يكن ثمة سبب لهذا الحقد الشديد على يوسف إلا شعورهم أن أباهم يولى يوسف اهتماما دونهم ، مع أن يعقوب عليه السلام كان حريصا على حب أولاده جميعا ، ويدل على ذلك قوله لهم :

« وقال يابنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شىء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون » .

والرسول ﷺ الذى جعله الله تعالى بالمؤمنين رءوفا رحيما يوصينا بشدة الحرص فى العدل بين الأبناء فيقول ﷺ ، فيما جاء عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما :

أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال :

إنى نحلت – أعطيت – ابنى هذا غلاما فى أى ليخدمه .

فقال الرسول : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟

قال : لا

قال الرسول : فاتقوا الله واعدلوا فى ابنائكم .

وفى مجال حقوق الأبناء على الآباء ، يقرر الباحث الإسلامى الشيخ محمود حسنين العيسوى : أننا معاشر العرب قد ابتلينا بطول اللسان تطاولا ، وقصر الباع انتاجا ، إلا الكثرة الكاثرة من الذرية ، من جراء الكثرة من الزوجات ، مع إصرار اخواننا الشيعة على جواز زواج المتعة لوقت معلوم ، وقد حرمه رسول الله فى غزوة خيبر ، لما فيه من ضياع الولد وعدم الالتزام به ، وطمس مبنى الأسرة السعيدة ، التى يتكون منها المجتمع السعيد وكيف يلتزم والد غير معروف المكان والزمان بمن أنجب من أولاد ينكرهم ولا يذكرهم ، فى كل بلد يزوره للسياحة أو السفارة أو التجارة مع بعد الشقة وضآلة الشوق ؟

وإذا رددت مذهب هؤلاء لبيئته وخطورته على تكوين الأسر والمجتمعات قالوا ذاك أم الزنا ؟ كأن الرجل حيوان أعجم ، خلق للشهوات دون الرسالات العليا التى تلاءم مع فطرته التى فطر الله الناس عليها ، فى جمال خلق وأحسن تقويم . وسخر له من أجلها ما فى الأرض جميعا ، على أن زواج المتعة قد خرج من دائرة الحلال يوم تعرى من نية دوامه التى أرادها الله لكل زواج .

بقوله الكريم « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى احدان » . فضلا عن أنه يطلع علينا بأجيال متنافرة متحاربة ، تلقها فى أغلب أحيانها شرائع الغاب والناب معا .

والغريب أنهم استدلوا على شرعيته كما يدعون ، كما يستدل أصحاب اللذة عندما تطالبهم بترك المذهم إلى حياة الجد والابتكار والانتاج . استدلوا بقول الله فى كتابه « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » . وغاب عنهم أن الاستمتاع فى الآية الكريمة ، إنما هو بالزواج الدائم دون غيره ، كما صرحت به الآية السابقة عليها ، وإيتاء أجورهن يعنى مهورهن عطية من الله تعالى .

الشيخ محمود العيسوى

لكن الإسلام الحنيف الذى تعهد الأسرة بالرعاية منذ مولدها يأبى إلا أن يلتزم الوالد بأولاده ، أدبا وتربية ونفقة وبرا ، فى مثل قول نبيه صلوات الله وسلامه عليه « الزموا أولادكم وأحسنوا تربيتهم » وقوله عليه أفضل صلاة وأتم تسليم « ما نحل والد ولدا من نحل بأفضل من أدب حسن » وقوله « رحم الله والداً أعان ولده على بره » أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله .

ومعلوم أن أجل عطاء وأجزله من أب لابنه ، الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة اللتان تعهد بهما رسول الله امته الإسلامية ، فكانت خير أمة أخرجت للناس .

هذا وإن الرحمة الراحمة ، هى من حقوق الأبناء على آبائهم فى دين الله عز وجل . فما كان أوسع من رحمة رسول الله بأبنائه وأحفاده ، إذ جاءه حفيده الحسين ، وهو يصلى ، فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس ، فلما قضى صلاته ، قالوا ، قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، فقال « إن ولدى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » ولا غرو فهو ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم ، يفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم ، وما أعظم فرحته يوم زفت حفيدته أميمة إلى زوجها ، فقال هل أرسلتم العروس إلى عريسها ؟ قالوا نعم ، قال هل أرسلتم من يغنى غلقها :

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم
فلولا الحبة السمراء
لم نحلل بواديكم

وقد سأل معاوية بن أبى سفيان الأحنف بن قيس : ما تقول فى الولد ؟ قال هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وان غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا ، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك .

فقال معاوية : لله أنت يا أحنف .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ملهم الأمة الإسلامية ، يبين للناس بعض حقوق الأبناء يوم شكا والد عقوق ولده ، فلما أحضره سأله : لم تعق أباك ؟

قال : يا أمير المؤمنين . . أليس للولد حق على والده ؟

قال : بلى

قال : ما هو ؟

قال : أن يستولده من حرة ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتابة ، ويحفظه القرآن .

قال : لقد استولدنى من أمة ، وسمانى جعرانة ، وما علمنى حرفا ولا آية .

قال عمر لأبيه : تعق ولدك ثم تأتى تشكوه ؟ ثم انصرف عنه . □

حديث قدسى

يوم لا ظل إلا ظلى

الحب فى الله ، والاعتصام به ، ينمو ويترعرع ، مثله كمثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . وحدثنا أدب السيرة العطرة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى يقول يوم القيامة :

أين المتحابون لجلالى ، اليوم أظلهم فى ظل يوم لا ظل إلا ظلى »

دعاء

من أدعية الإمام على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما :

اللهم إنى أسألك خوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعين لك ، ويقين المتوكلين عليك ، وتوكل المؤمنين عليك . .

المانى يستمع الى الدكتور البرى

د. البرى

المستشرق الألمانى البروفسور أرنست كلينجموللر مدير معهد الأبحاث القانونية فى التأمين بجامعة كولونيا والمستشار بمحكمة الاستئناف بألمانيا الغربية .. زار القاهرة لمدة شهرين .. حرص خلالها على حضور محاضرات الشريعة الإسلامية لقسم الدكتوراه بحقوق القاهرة . التى يلقيها الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف . كما ألقى المستشرق الألمانى عدة محاضرات على طلبة الدراسات العليا بقسم الشريعة بحقوق القاهرة . وأقام له الدكتور البرى حفل تكريم بالحى الدينى بالقاهرة – حى الأزهر والحسين – حضره عدد كبير من رجال الشريعة والقانون .

دعوة الحق والعدل

لقد جاء الإسلام بمبادىء ، استطاع قائده محمد ﷺ أن يرسيها . ويحقق لها السيطرة والنجاح ، فقد حرر الإنسان داخليا وخارجيا .. واستطاع أن يكفل له حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكان اهتمام الإسلام بذلك حتى لا يستذل الإنسان لمعبود غير الله تعالى . ودعا الإسلام إلى الحق والعدل والحرية والمساواة .

محمود عاشور

اختار الله النبى العربى محمداً ﷺ . اليتيم الفقير الناشىء فى جوف الصحراء ، ليكون النبى الملهم . والرسول الموحى إليه ، ليرد البشرية إلى الإسلام والطمأنينة ، وإلى التراحم والتعاون . وإلى الإيمان واليقين .

وكانت رسالته من أشق الرسالات وأخطرها . لهذا الجو العاصف الذى كان يجتاح العالم حينذاك . ولهذا التخلف المزرى الذى اتسم به البشر .

فقاد الرسول ﷺ دعوة كانت مثالا فى الإعداد والتنظيم .. والقوة والتغيير ، لكى ينهض بها المجتمع ، بمبادئه الإنسانية العالمية السامية .

لقد كان مولد النبى ﷺ مولد تاريخ جديد ، استطاع أن ينهض بالبشرية ، ويطلقها من عقالها .. ويحقق لها الأمن والطمأنينة والحرية والمساواة .

لقد جاء الإسلام بمبادىء استطاع النبى أن يرسيها ويحقق لها السيطرة والنجاح .. فقد حرر الإنسان داخليا وخارجيا .. واستطاع أن يكفل له حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

فتحرير الإنسان من داخله بدأ بارساء العقيدة فى نفسه ، بحيث لا يتركه مبلبلا متحيرا تائها لا يحقق الاستقرار لذاته .. وكان اهتمام الإسلام بذلك حتى لا يستذل الإنسان لمعبود غير الله .

وتحريره خارجيا : بدأ بتحريره من العبودية والاسترقاق .. ثم تحريره فى عيشه ومستقبله وحياته .. واتبع فى ذلك أسلوب التغيير الشامل فى كل نواحى حياته .. وفى اتجاه يبعده عن كل

محمود عاشور

المنكرات ومظاهر التخلف التى كانت سائدة فى جزيرة العرب .

ونحن إذا قارنا هذه المبادىء والأصول بمبادىء الثورات وشعاراتها نجد الإسلام فى مبادئه قد حقق تقدما أبعد مما كانت تنادى به .

فالثورة الفرنسية مثلا حدثت فى أواخر القرن الثامن عشر أى بعد الإسلام بالنى عشر قرنا .. وادعت أنها أول من صاغ حقوق الإنسان . وخصها قادتها فى كلمات ثلاث هى : الحرية والاخاء والمساواة ، وجاءت أمريكا بعد ذلك . وادعت أنها سبقت إلى ذلك وأعلنت فى وثيقة الاستقلال عام ١٧٧٦ أنها تعد الحقائق التالية من البديهيات :

خلق الناس جميعا متساوين .. وقد منحهم الخالق حقوقا خاصة لا تنتزع .. منها الحياة والحرية والسعى وراء السعادة .

ثم قامت الثورة الاشتراكية لتزعم أنها تحقق العدالة بين الناس .. وتقضى على ما كان بينهم من فوارق .. وتعطى للمحرومين والمستغلين حقوقا حرموا منها لفترة طويلة من الزمن .

هذه ثورات قامت فى العصر الحديث ، ونحن نعطيها مضمون الثورة ومفهومها ، لأنها حققت تقدما للإنسانية .. واستطاعت فى فترتها أن تنقذ المظلومين من بنى البشر . فهل حقق الإسلام ذلك ، حتى نطلق عليه مفهوم الثورة .. ؟

وهل فى دعوة الثائر العظيم محمد ﷺ مضمون بهذه المقاييس ؟

اعتقد أنه حقق هذا وأكثر من هذا .. وتفوق الإسلام بتميز فى المساواة ، ومعناها أن يكون الناس جميعا متساوين أمام القانون فى الحقوق والواجبات ..

وقد أكد ذلك محمد ﷺ بقوله « الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » ولم يكتف بالقول المجرد بل أتبعه بالعمل الحازم العادل . وأجاب صحبه حين طلبوا منه العفو عن سارقة لشرف أسرتها ومكانتها . « إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

وأما المساواة فى القضاء فلم يكن للنبى ﷺ سوى مجلس قضائى واحد ، يمثل أمامه الناس جميعا دون تمييز بين رفيع ووضيع . وغنى وفقير .

والمساواة فى التوظيف ، ليس أدل عليها من هذا الحديث الشريف « من ولى رجلا شيئا من أمور المسلمين وهو يعلم أن فيهم من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين » .

وأما الأخوة ، فالقرآن الكريم هو أول من نادى بالأخوة العقائدية والأخوة الإنسانية « إنما المؤمنون إخوة » والنبى العربى هو أول من آخى بين المهاجرين والأنصار ، حتى تقاسموا البيوت والأموال ، وأول من خصص الفقراء والمساكين بحظ موفور من موارد الدولة ، حتى بات هؤلاء يشعرون بالوجود الصحيح والكرامة الكاملة فى أمتهم وشعبهم .

وأما الحرية فقد هيأ لها الإسلام أنقى الأجواء ، واستطاع أن يحل مشكلة مزمنة هى مشكلة الرق .. فقد رأى أنها توقف التطور الاجتماعى ، وحول دون رقى الجماعات . فتح لها الباب على مصراعيه حتى انهار نظام الرق وتصدعت أركانه . وقضى عليه تماما .

وقد أثمرت توجيهات الرسول وتعاليمه فى ذلك .